الاتجاهات السياسية للحركة الوطنية بعد ح.ع.2

الحزب الشيوعي الجزائري

البدايات:

ارتبط ظهور وتطور الاتجاه الشيوعي في الجزائر وصياغة أفكاره بالحزب الشيوعي الفرنسي، من جهة وبتفاعلات الحركة الشيوعية العالمية في نطاق هيئة الكومنترن التي انتظمت غداة انتصار الثورة البلشفية بروسيا 1917م من جهة ثانية. لقد كان المناضلين الشيوعيين في الجزائر جزءا من الحزب الشيوعي الفرنسي الذي تأسس في تور tours في سنة 1920م وحينها تشكل الفرع الفرنسي للأممية الشيوعية العالمية.

لقد ركزت الحركة الشيوعية منذ نشأتها على محاربة الطبقية والاستغلال، وبما انه ذات الهدف يرتبط بالحركة الاستعمارية الرأسمالية الاستغلالية فقد ثار الاستعمار الغربي مستهدفا هو الآخر، لكن يبدو ان الاستعمار نفسه اوجد لنفسه مقعدا داخل الهيئة الشيوعية للتضليل.

وتبعا لما سبق فقد اعترض الحزب الشيوعي الفرنسي في اجتماع الكومنتري على تعميم أساليب النضال والكفاح، ووجوب التعامل مع الخصوصيات حسب مبدآ "حق التصرف حسب الظروف المحلية" وهذا ما أشارت إليه بعض الفروع الأهلية المنضوية تحت مظلة الحزب كفرع سيدي بلعباس مثلا.

وبذلك تصبح المسالة الاستعمارية غير ذات دلالة شاملة بل قطرية، وان نجاح البرولتاريا في الجزائر مرهون بنجاحها في الميتروبول (باريس).

والحق ان هذا العامل هو الذي دفع بهيئة الكومنترن للتركيز على الطبقة العاملة من المهاجرين المغاربة في فرنسا، وكانت النتيجة تشكيل نجم شمال إفريقيا كهيئة مغاربية ضمت نخب البلدان الثلاث وكان من أعضائها البارزين الحاج علي عبد القادر ومصالي الحاج. هذا الأخير الذي سيصير رئيسا لهذا

التيار قبل ان يدير ظهر المجن للحزب الشيوعي الفرنسي وينحو منحى وكني صرف بإيعاز من الأمير شكيب ارسلان.

التأسيس والاهتمامات:

تأسس الحزب الشيوعي الجزائري في 1936م، منفصلا عن الحزب الشيوعي الفرنسي، في عهد حكومة الجبهة الشعبية، ورغم انه خرج من عباءة الحزب الشيوعي الفرنسي الا انه ظل وفيا للعلاقة بيتهما، ذلك انه استمر في دعمه للوجود الفرنسي ويرى فيه ضرورة حتمية تسبق بحسبه اي قيام لكيان جزائري. فصار يدعو للاندماج ويعادي التيار الاستقلالي وتتفق على اساس ان الجزائر امه قيد التكوين وفرنسا هي التي يقود خطواتها نحو المستقبل كما شارك الحزب في المؤتمر الاسلامي الجزائري.
وانخرط الحزب في الدعاية لصالح الحلفاء وروسيا خلال الحرب العالمية الثانية، على أساس انها فرصة للتخلص من القوى الرجعية.

الحزب الشيوعي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية:

على الرّغم من أن الحزب الشيوعي الجزائري لم يكن له أي صدى لدى الجزائريين، لأنه ومنذ البداية لم يكن يؤمن بوجود أمّة جزائرية، إلّا أنّه حاول العودة إلى الحضيرة الوطنية منذ 1946م، وإن كانت تلك العودة محتشمة وبطيئة، ومليئة بالتردّد والغموض؛ فقد حملت خطابات الشّيوعيين في هذه المرحلة تغييرات في لهجتها لصالح القضية الوطنيّة، وسطّر بيان الحزب هدفه المتمثّل في تأسيس مجلس وحكومة جزائريين، مع اعتبار الجزائر قطرا مشتركا مع الاتّحاد الفرنسي، وطالبوا بترسيم اللّغة العربية وتعميم تعليمها على قدم المساواة مع الفرنسية في كلّ المراحل، وهو مشروع لم يخرج بعد عن دائرة الاندماج.
لقد ظلّ الحزب الشيوعي الجزائري عاجزا عن التّغلغل والتجذّر في الأوساط الشّعبية، وبقي –رغم استقلاليته الظّاهرة– مرتبطا فكريّا وعمليّا بالحزب الشّيوعي الفرنسي باعتراف عمّار أوزقان نفسه، ولم يمنع ذلك من تقارب الحزب الظّاهري مع جمعية العلماء" والحزب الاستقلالي واهتمام بعض جرائده في الفترة موضوع دراستنا ببعض المسائل والقضايا الثّقافية.

بنهاية الحرب العالمية الثانية عاد الحزب الشيوعي للنشاط من جديد تحت مسمى اصحاب الحرية والديمقراطية في سنة 1946م وشارك في انتخابات جوان وحقق نتائج مقبولة بالمجلس الفرنسي، واظهر مناضلوه عداء ضد الوطنيين وتقاربا مع العلماء والبيانيين.

من الوثائق الهامة التي تميط اللثام عن إيديولوجية الحزب بعد الحرب، وثيقة مشروع القانون الأساسي الذي اقترحه الحزب للنقاش في سنة 1947م حول القانون الخاص بالجزائر والذي نشره د. يحي بوعزيز في إحدى كتبه.

ترتكز إيديولوجية الشيوعيين على ثلاثة ركائز هي:

-العمل على حماية السيادة والمصالح الفرنسية في الجزائر بأي ثمن وأي شكل، وعدم السماح بالنيل منهما مهما كلف الثمن.

-القيام بإصلاحات شكلية لا تمس بالسيادة الفرنسية

-عدم التسليم بوجود امة جزائرية حتى لا يكون ذلك مبررا للتعاطي مع مطلبه الوطنية التحررية.

وتتضح إيديولوجية الحزب الشيوعي بشكل واضح في القانون الذي اقترحه الحزب في مارس 1947م والذي قدمه نوابه للمجلس الفرنسي لمناقشته، قدم المشروع نواب الحزب مثل جماد عبد الرحمان شريف واليس سبورتيس ومختاري محمد وبيار فايي.

جاء المشروع في إطار دستور الجمهورية الرابعة الذي صودق عليه في 1946م، وهو الدستور الذي داء تتويجا لمرحلة جديدة في فرنسا ما بعد الحرب العالمية الثانية وقد حاولت فرنسا ان تأخذ بعين الاعتبار المتغيرات الجديدة التي أفرزتها نتائج الحرب وتضعضع مكانة فرنسا الاستعمارية، إضافة الى مجازر الثامن ماي الرهيبة فهي إذا محاولة منها لاستعادة بريقها في أعين ابناء المستعمرات في ظل علام متقلب ومتغير بسرعة.

لقد ابرز التقرير في ديباجته ان القانون المقترح يستمد روحه من دستور الجمهورية الرابعة وتتويجا له في ظل التغيرات والتحولات التي جاء بها ،ومما يلاحظ ايضا في ديباجة المشروع تطابق في الخطاب مع الخطاب الشيوعي المعتمد بشكل عام والذي يرتكز على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، ومما داء

في الديباجة : "من وجهة النظر الغذائية واللباس و الاقتصادية والسياسية تتطلب بشدة تجديدا كليا يسمح لجميع القوى الفتية السير الى الامام دون ان يعرقلها نظام اداري رجعي ومعاكس للديمقراطية ويسوده تسلط القوات الاقتصادية المغتصبة ويمنع كل نمو تقدمي لجميع النواحي الاقتصادية والسياسية والثقافية"

الحزب والثورة:

لم يظهر الحزب الشيوعي الجزائري اهتماما واضحا بقضية القوميين/الوطنيين ومطلب الاستقلال، بل اعتمد مطالب اجتماعية كتحسين معيشة السكان ورفع الأجور وتحقيق العدالة الاجتماعية، والمطالبة بالمساواة بين الجزائريين والفرنسيين ضمن الاتحاد الفرنسي فطالب بالجنسية المزدوجة واعتبار كل من العربية والفرنسية لغة رسمية وتشكيل برلمان فرنسي جزائري مزدوج، كما نشط نقابيا.

عارض الحزب الشيوعي الجزائري، تحت تأثير الحزب الشيوعي الفرنسي، نضال التحرير الوطني الجزائري. واعتبر الحزب أنه من السابق لأوانه حصول الجزائر على استقلالها الوطني، ولكن عند قيام حرب التحرير، وقف إلى جانب الثورة وعمل مع اتحاد العمال ذو القيادة الشيوعية؛ الـ CGT كي لا يتعاون عمال الموانئ في تفريغ حمولات الأسلحة من السفن الفرنسية. وقرر في 1952 الانحياز إلى قرار استقلال الجزائر، وفي ربيع 1955 كان للحزب مجموعاته المسلحة؛ وفي 20 يونيو عام 1955 قرر الحزب الانخراط في الكفاح المسلح مع جبهة التحرير الوطني الجزائرية، وبحلول سبتمبر من ذات العام جاء حظر السلطات الفرنسية للحزب. وكان موقفه من قضية الاستقلال وتبني الكفاح المسلح جعلاه يبتعد تماما عن مواقف الحزب الشيوعي الفرنسي] .

وكان السكرتير العام للحزب الشيوعي الجزائري بشير حاج علي.

أصدر جريدة أسبوعية حتى سبتمبر 1955 l'hebdomadaire LIBERTE ثم كانت الجزائر الجمهورية) بالفرنسية(Alger républicain : جريدته شبه الرسمية. كما كان لنشاطه صدى في الجزائر الجديدة وجريدة الكفاح الاجتماعي.

تم تقنين وضـــع الحزب الشـــيوعي الجزائري في عام 1962، ولكن تم حظره ومنعه في عام 1964. وتجمع الشيوعيون الجزائريون مرة أخرى لاحقًا في الحزب الطليعي الاشتراكي.(PAGS)